الابـاضيـة المذهب والتصور والواقع

حوار صحفي أجرته جريدة (السلام) الجزائرية مع محمد صالح ناصر .

السلام : من هم الإباضية ؟ وهل هم فرقة إسلامية لها مميزات في تصورها العقيدي أم مذهب فقهي بتميز باجتهادات في الأمور التشريعية ؟ .

الابـاضيـة
المذهب والتصور والواقع[1]

الـدكتـور محمـد نـاصر : اود ان اشير قبـل ان اجيب على اسئلتكم الهامة ان اشكر جريدة «الـسلام» الفتيـة التي فتحت صـدرهـا واسعـا امام القـارىء الجزائري واخـذت بيـده الى ابواب من الحوار الهـادىء المتفتـح على الرأي الآخر دون احكام مسبقـة أو انحيـاز لمعسكر في وقت نرى فيه بعض صحفنا العريقـة مـا تزال حتى اليوم سـادرة في غيها باستخدام مقص الرقابة فارضة وصاية تعسفية على الرأي الـذي لا يعجب مـدير تحريرهـا وأوضـح منـذ البـدايـة بـأني أعبر عن رأيي الخاص فيما طرح علي من اسئلة لأني لسـت متخصصا في هذه القضايا وكما اني لا امثل رمزا لطائفة او شيخا لجماعة حتى لاتحمل اجاباتي الى أبعاد لسـت أهلا لايصالها اليها او يفهم منها مفاهيم تنأى عن الطرح العلمي النزيه الى مقاصد سياسية انا ابعد ما اكون عنهـا واسـارع الى قبول الاجـابـة على سـؤالكم الـذي تفضلتم بطرحـه استجـابـة لمـا تجس بـنكن قلبي وفكري وهو ايمـاني العميق بـأنـه لا صلاح ولا فلاح ولا تقدم ولا ازدهار لأمتنا الا في ظل وحدة وطنية راسخة الجـذور على

---

(1)جريدة السـلام العددان : 12/19 و 1990/12/26 .

اسس زكاها وغاها فينا هدي القرآن وتربية محمد ﷺ وهي الاسلام عقيدة وسلوكا ولغة القرآن لسان دين ومعرفة والوحدة الوطنية وسيلة رقي وحضارة ، فأنا اعبر اذا عن احساسي الاسلامي قبل اي اعتبار آخر مهما يكن هذا الاعتبار طائفيا او مذهبيا او سياسيا .

واجابة عن سؤالكم من هم الاباضية ؟ اود ان اقول بان هذا السؤال في حده واسع الاطراف متعدد الجوانب فيه التاريخ والسياسة والفقه والعقيدة ، والثقافة والاجتماع الى غير هذه العوامل التي تتضافر في بناء كل حضارة عريقة لها جذور أصيلة في التاريخ الاسلامي وهذا ليس مجاله هذا الحيز الضيق الذي لا يسمح الا بالاجابة المركزة والفات النظر الى مصادر التوسع والاستيعاب ومع ذلك فاني سأحاول الاقتصار على الخطوط العريضة كما يقال .

ان الاباضية فرقة اسلامية عرفتها الساحة الاسلامية قبل ان تعرف بهذا الاسم لأنها فرقة اسلامية نشأت في ظل الكتاب والسنة اثر ظهور بعض التطورات السياسية التي عرفها التاريخ الاسلامي في عهد الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

والاباضية نسبة الى عبد الله بن اباض التميمي أحد الزعماء السياسيين البارزين الذين انشقوا عن الخوارج عندما رأى منهم ما لا يتماشى مع سماحة الاسلام وقد ظهرت هذه التسمية لأول مرة في العصر الاموي ولعل هذا كان في عهد عبد الملك بن مروان الذي كانت له مراسلات تاريخية معروفة مع عبد الله ابن اباض أما التسمية التي أطلقها الاباضية على أنفسهم فهي «أهل الدعوة» ايمانا منهم بأن الاسلام رسالة ودعوة لا تتوقف وقد اشتهر ابن اباض بمعارضته الشديدة للسياسة الجائرة التي كان الامويون يتسلطون بها

على رقاب المسلمين كما عرف أيضا بمواقفه الحازمة ضد الخوارج حيث كان يجادلهم ويبين تطرفهم ويتبرأ من أعمالهم كما تشهد بذلك النصوص التاريخية مما يوضح لكل منصف نزيه انقطاع كل صلة بين مبادىء الخوارج المتطرفين وبين مبادىء الاباضية .

أما الامام الحقيقي للاباضية فهو جابر بن زيد الأزدي المولود سنة (22 هـ) والمتوفي سنة (93 هـ) على ارجح الأقوال وبهذا يكون الذين ينتسبون اليه ويأخذون علمهم ودينهم عن طريقة أول المذاهب الاسلامية نشوء والإمام جابر تابعي من أفاضل التابعين ومشاهيرهم أخذ العلم عن كبار صحابة رسول الله ﷺ ويكفي تتلمذه المباشر لام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعبد الله بن عباس بحر الامة وفقيهها بشهادة رسول الله .

السلام : وعن الشق الثاني من السؤال : أللإباضية تصورات مميزة في العقيدة ام هم مذهب فقهي يتميز باجتهادات في الامور التشريعية ؟ .

الدكتور محمد ناصر : لا تختلف الاباضية عن الفرق الاسلامية المعتدلة الأخرى إذ هم يستقون كل تصوراتهم العقيدية واجتهاداتهم التشريعية من الأصول التي تعتمد في التشريع الاسلامي الكتاب السنة والاجماع والقياس والاستدلال ويدخل تحت الاستدلال الاستصحاب والاستحسان والمصالح المرسلة وقد يطلقون على الاجماع والقياس والاستدلال كلمة (الرأي) فيقولون عندما يتحدثون عن مصادر التشريع هي الكتاب والسنة والرأي اختصارا وبسبب ذلك اخطأ بعض من كتب عنهم فظن أنهم ينكرون الإجماع .

والأصل العام في العقيدة الاسمية عند الاباضية هو التنزيه

المطلق للباري جلا وعلا ، وكل ما أوهم بالتشبيه من الآيات القرآنية الكريمة أو الأحاديث النبوية الثابتة يجب تأويله بما يناسب قوله تعالىٰ ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع العليم﴾ .

1) الايمان : عقيدة وقول وعمل .

2) صفات الباري جل وعلا ذاتية ليست زائدة على الذات ولا قائمة بها ولا حالة فيها .

3) الله تبارك وتعالى صادق في وعده ووعيده .

4) الخلود في الجنة أو النار أبدي .

5) انكار رأي قسم من أقسام كلمة التوحيد الثلاث شرك .

6) انكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة شرك .

7) القرآن كلام الله تعالى وانكار شيء منه شرك .

8) الميزان والصراط ليسا حسبيين وانما يؤولان بما يليق بهما من ترغيب أو ترهيب.

9) الانسان حر في اختياره مكتسب لعمله ليس مجبراً ولا خالقاً لفعله .

10) ولاية المطيع والبراءة من العاصي واجبتان .

11) الناس قسمان مؤمن وكافر ولا منزلة بين المنزلتين .

12) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان .

13) إذا أطلقت كلمة الكفر على الموحد فالمراد بها كفر النعمة لا كفر الشرك استناداً إلى الآية الكريمة ﴿فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وفي آية ﴿أولئك هم الفاسقون . .﴾ وفي آية ﴿أولئك هم الظالمون﴾ ، فالتعبير بالفاسق أو الكافر أو الظالم حكم واحد ، والاختلاف لفظي .

وهناك أصول أخرى هامة ليس هنا محل ذكرها يمكن مراجعتها في مصادر الاباضية وهي كلها أصول لها أدلتها النقلية والعقلية من القرآن والسنة واحسبها لا تختلف عن عقيدة المذاهب الاسلامية المعتدلة الأخرى الا في بعض الأمور مثل الحكم على مرتكب الكبيرة الميت مصرا على المعصية بالخلود في النار أو اعتقادهم بعدم رؤية الباري جل وعلا تنزيها وخوفا من ان يجر الاعتقاد الى التجسيد والتشبيه تعالى الله عن ذلك كما نلحظ أن حرصهم على الاعتقاد بأن الميت بغير توبة مخلد في النار له أثار إيجابية عملية في سلوكهم اليومي إذ يجعل المسلم حذرا محاسبا نفسه على كل صغيرة وكبيرة مسارعا الى التوبة والانابة والاستغفار والرجوع الى الجادة كلما زلت به قدمه، وحبذا لو ندرس هذه الأصول العقيدية من خلال السلوك الحضاري للمجتمعات ولا يقتصر ذلك على التنظير الفلسفي العقلي المجرد نضرب مثلا بدراسة المفكر الجزائري المرحوم مالك بن نبي في مقالة القيم الذي درس فيه أثر عقيدة الإباضية بالولاية والبراءة وانعكاسات ذلك على المجتمع الاباضي الميزابي من خلال زيارة قام بها الى وادي ميزاب سنة 968، فقد تكون مثل هذه الدراسات الميدانية من عوامل الاعتراف بالحق وأخذ الحكمة حيثما وجدت دون تعصب لرأي متزمت، أو انسياق وراء احكام مسبقة، أو استيراد نظريات من هذه الدولة أو تلك، واعتقد أن من أهم الأصول العقيدية للإباضية التي يتشددون في تطبيقها وتتجلى في حياتهم التطبيقية إيمانهم بأن الاسلام عقيدة وقول وعمل . ولا يمكن الفصل بين هذه العناصر الثلاثة فلا عقيدة بدون سلوك ولا سلوك بدون عقيدة ومن هنا نفهم حرصهم الشديد إلى يومنا هذا على تطبيق مبدأ الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يقوم به رجال الدين أو حلقة العزابة كما يطلق عليهم في وادي ميزاب وهم الساهرون على تطبيق مبدأ الولاية والبراة في الحقيقة تجسيداً لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطرق عملية رادعة فالولاية للمطيع والبراءة من العاصي المجاهر للمعصية.فالفرد في المجتمع الميزابي الإباضي عندما يقوم بأمر يوجب براءة المسلمين يعلن عنه أمام الملأ في المسجد الجامع حتى يعرفه الناس فلا يتعاملون معه وهو ما يضطره إلى الاعتراف بالخطأ والتوبة من الذنب والرجوع إلى جادة الحق في ظل الشريعة الاسلامية واعتقدأن هذه المبادىء المستمدة من القرآن والسنة هي التي يرجع اليها فيما يلحظ من تماسك وتضامن واتحاد بين أفراد المجتمع الاباضي على قاعدة الفرد من أجل المجموع ، والمجموع من أجل الفرد .

كما يكون الاباضية أيضا في مجال التشريع مدرسة راسخة الجذور تتمثل في اجتهادات علمائهم القدامى والمحدثين في مواكبة الحضارة الاسلامية في تطورها مع الواقع المعيش يكفي أن نذكر ديوان جابر بن زيد في الفقه وقد تحدثت الكتب القديمة عن أهميته وضخامته ولكنه ضاع في العهد العباسي ،ومسند الإمام الربيع بن حبيب في الحديث وهو يعد أول كتب الحديث قربا من الرسول في اسناده الثلاثي عن جابر عن عائشة عن الرسول ﷺ ومدونة أبي غانم بن بشر في الحديث والآثار وهي تعود الى القرن الثاني الهجري وتفسير هود بن محكم الهواري الأوراسي في القرن الثالث، وقد عرف المذهب الإباضي في ميدان الفقه بمطولات التي قد يقل نظيرها عند المذاهب الأخرى نضرب مثلاً بقاموس الشريعة للعلامة جميل بن

خميس السعدي في تسعين جزءا وبيان الشرع الذي يبلغ سبعين جزءا للعلامة محمد بن ابراهيم الكندي والمصنف لابي بكر احمد بن عبد الله الكندي وجواهر الاثار لمحمد بن عبد الله بن عبيدان ومعارج الآمال للعلامة نور الدين عبد الله السالمي وهؤلاء كلهم من اباضية عمان كما اشتهرت عند اباضية المغرب آثار فقهية أخرى مثل إيضاح الشماخي ومؤلفات أحمد بن عبد الله ابن بكر ومن أهمها أصول الأراضين الذي ما زيال مخطوطاً ومؤلفات الشيخ اسماعيل الجيطالي ومن المحدثين نذكر النيل للشيخ عبد العزيز التيني وشرح النيل لقطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف أطفيش وهذا الكتاب موسوعة فقهية هامة تعتبر المرجع الاساسي للفقه عند الإباضية، ناهيك عن مؤلفاته الاخرى التي تجاوزت في ميدان الفقه وحده المائة ومن المعاصرين اعلام ضربوا في ميدان الاجتهاد الفقهي بسهم وافر يأتي على رأسهم العلامة الامام الشيخ بيوض والشيخ أحمد الخليلي مفتي سلطنة عمان وهما امتداد لعلماء الاباضية الذين عرفوا بالاجتهاد في كل عصر ومصر لإيجاد الحلول التي تشغل بال المسلمين يوميا وقد كانت اجتهادات علماء الاباضية محل اعجاب وتقدير العلماء المسلمين من المذاهب الأخرى ولها مكانتها في الموسوعات الفقية المعاصرة مثل موسوعة الفقه الإسلامي الصادرة بالقاهرة، ولم تتوقف حركة التأليف عند الإباضية رغم ما يتعرضون له من الملاحقة والاضطهاد في مراحلهم التاريخية ولو قام باحث كما يقول الشيخ على يحي معمر باحصاء جميع الكتب التي ألفها الإباضية واستخرج منها نسبتها المائوية إلى عددهم ثم فعل ذلك في بقية المذاهب ثم قارن بين نسب جميع لوجد نسبة الاباضية من أعلى النسب . هذا على الرغم من أن

كتبهم عرفت المطاردة والمصادرة .والاحراق والاتلاف، مثلما وقع عند استيلاء الفاطميين على مدينة تاهرت ، وفي أحيان كثيرة تكون أصابع الفقهاء المتعصبين وراء أجهزة السلطة الجائرة تحركها لإلحاق الأذى بمخالفيهم .

للسلام : من هم أئمة الاباضية واشهر علمائهم ؟

يصعب على المرء أن يحدد او يعدد ائمة مذهب ما في حيز ضيق كهذا وانما هذا مجاله الموسوعات والمعاجم المتخصصة ولعل الله يوفق (جمعية التراث) الى انجاز عمل قيم شرعت في جمع مادته تحت عنوان معجم اعلام الاباضية على غرار المعاجم الاسلامية المعروفة وبذلك تسد فراغا هائلا في هذا المجال، ومع ذلك فاني سأورد هنا بعض الاعلام على سبيل المثال لا الحصر وقد سبقت الاشارة الى بعضهم الامام جابر بن زيد (ت 93 هـ) وهو التابعي الذي شهد له شيخه الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بالعلم واعتزت ام المؤمنين ببنوته العلمية، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ حملة العلم الى المشرق والمغرب، الإمام الربيع بن حبيب صاحب المسند ومرجع الاباضية في الحديث الى جانب الصحاح بطبيعة الحال، الإمام عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية أول جمهورية اسلامية تطبق نظام الشورى الاسلامية تطبيقاً عملياً، الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن، الإمام أفلح بن عبد الوهاب، أبو يعقوب يوسف الورجلاني صاحب المؤلفات الفلسفية القيمة وخريج جوامع الاندلس أبو عمار عبد الكافي، أبو عبد الله محمد بن بكر مؤسس نظام الحلقة في الخامس الهجري هذا النظام الذي ما يزال في وادي ميزاب نموذجاً فريداً في العالم الإسلامي لرسالة المسجد في حياة

المسلمين اليومية نظرياً وتطبيقاً، ونذكر من بين المعاصرين الشيخ عبد العزيز التميمي وقطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش صاحب المؤلفات الكثيرة والذي طبقت شهرته العالم الإسلامي كله المعروف بمواقفه الوطنية من الاحتلال الفرنسي، نور الدين عبد الله السالمي أشهر علماء عمان وهو صاحب المؤلفات القيمة والمواقف المشرفة، الشيخ أبو اليقظان أحد رواد الصحافة الوطنية الجزائرية ومن أشهر المجاهدين بالكلمة ضد الغزو الصليبي، الشيخ ابراهيم بيوض رائد الحركة الاصلاحية ومجدد الفكر الاباضي في القرن العشرين الشيخ ابراهيم اطفيش صوت الجزائر في المنافي. تونس والقاهرة ورجل الوطنية الاسلامية التي لا تعرف الحدود الاقليمية، الشيخ عبد الرحمن بكلي صاحب المؤلفات في التاريخ والفقه، الشيخ محمد علي ديوز مؤرخ المغرب الكبير، وهؤلاء انتقلوا جميعاً إلى رحمة الله ورجال ما زالوا يؤدون واجبهم الإسلامي اليومي هنا وهناك آمد الله في أنفاسهم وفي انفاس كل مسلم يسعى إلى تحقيق الوحدة والآخاء بين المسلمين أينما كانوا.

لماذا انحسر المذهب الاباضي في اماكن محدودة جدا من العالم الاسلامي ؟

انتشر المذهب الاباضي في اماكن عديدة من العالم الاسلامي المترامي الأطراف. وقد كان الاباضية رجال دعوة وجهاد لاعلاء كلمة الحق اينما كانوا، فكانوا في الحجاز، وفي حضر موت، وفي اليمن، وفي عمان وفي خراسان كما وجدوا في جنوب مصر وليبيا وتونس والجزائر وجنوب المغرب الأقصى. ووصلوا الى حدود نهر النيجر وهم أول من أوصل الاسلام الى القارة السوداء وقد تعرفنا

في السنوات الاخيرة من خلال بعض الطلاب الغينيين في الاردن على وجود جماعة كبيرة تعد بالآلاف ممن ينتمون إلى المذهب الإباضي في غينيا وامتد الى زنجبار وهو موجود فيها إلى اليوم وتدل بعض الاثار المكتشفة والمخطوطات الى وصول المذهب بواسطة التجار الى ابعد ذلك شرقا بكثير .

ولكن ما تعرضت له الاباضية من ملاحقة واضطهاد عبر تاريخهم الطويل عرضهم للابادة والتشتت من طرف الحكام الجورة الذين كانوا يرون في مبادىء هذا المذهب ما لا يسمح لهم بالسيطرة والتسلط والنفوذ، نذكر على سبيل المثال المذبحة الفظيعة التي تعرض لها المسلمون من السفاح الشيوعي (نيريري) في زنجبار مؤخرا .

كما يعود انحسارهم في اماكن عديدة من العالم الاسلامي الى ان المذاهب المنافسة كانت تعتمد على السلطة السياسية الغالبة في بسط نفوذها كما وقع ذلك في تاريخ المغرب الكبير وما الفتن التي نسمع عنها من حين الى آخر هنا وهناك الا صورة مصغرة لتلك المعاناة وذلك الاضطهاد .

وهناك سبب آخر ذكره الشيخ علي يحي معمر في كتابه : «الاباضية بين الفرق الاسلامية» يعود الى كراهة الاباضية لاراقة الدماء وهروبهم من الفتن مما جرأ عليهم مخالفيهم فشددوا عليهم الهجوم ولاحقوهم باستمرار ، واستحلوا منهم ما لم يستحلوا من غيرهم ، فكان ذلك كله سببا في تناقص عددهم وانحسارهم الى أماكن محدودة، فمن المعروف ان الاباضية يعتمدون على الدعوة والاقناع ولا يلجأون إلى استعمال العنف الا في حالات الدفاع .

ولذلك لم يشتركوا في أي عمل من أعمال العنف التي قام بها الخوارج ، والشيعة ، والتوابون، وابن الزبير، والاشعث ، ضد الامويين رغم مخالفتهم ومعارضتهم الشديدة للحكم الاموي وعدم رضائهم به، وقد حاول الخوارج استدراج عبد الله بن اباض للخروج معهم فامتنع واخبرهم أنه لا يخرج على قوم يرتفع الآذان من صوامعهم ، والقرآن من مساجدهم . ولهم في هذا المجال اصولهم السياسية التي تنظر الى الحكم والحكام من خلال نظرة القرآن اليها وهي مطروحة بالتفصيل والتعليل والتمثيل في مصادرهم المتخصصة لمن شاء العودة اليها .

والواقع اننا نرى كثيرا من الجماعات الاسلامية بدءا من الاخوان المسلمين والشهيد سيد قطب تتبنى مبادئهم تلك وتتدارسها وان لم يصرحوا بذلك علانية ، ولا جناح في ذلك ما دام المصدر والحمد لله واحدا وهو القرآن والسنة .

السلام : كيف ينظر الاباضية الى المذاهب الأربعة ؟

هم ينظرون اليها كما تنظر المذاهب الأربعة الى بعضها البعض ، نظرة اخاء وود واحترام وتقدير . انطلاقا من مبدأ ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾. وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، ومثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . وغير هذا من احكام الله واقوال رسول الله .

ولا احسبني مبالغا ان قلت من سمات المذهب الاباضي ومميزاته التسامح مع المذاهب الاربعة ، فنحن عندما نعود الى مؤلفات الاباضية قديما وحديثا ، نجدهم يوردون عند مناقشة

المسائل الفقهية - اقوال مخالفيهم في المذهب والرأي دون تعصب او تزمت ولن تذهب للتدليل على ذلك بعيدا في التاريخ ، وانما نعود الى ما يعتبر اليوم أهم معتمد للاباضية ولا سيا المغاربة في الفقه وهو (شرح النيلّ) الذي ألف متنه الشيخ عبد العزيز الثيني على غرار مختصر خليل ، وشرحه الشيخ اطفيش محمد بن يوسف ، ففي هذا الشرح تتجلى الروح الإسلامية المتسامحة في انصع صورها . فهو يورد اقوال العلماء المسلمين دون تحيز او انغلاق عند مناقشة اية مسألة ثم يورد رأيه الذي يراه راجحا . وهذه طريقة الشيخ اطفيش في اغلب مؤلفاته الفقهية . وللاخ المسلم ان يدخل أية مكتبة اباضية شاء عامة أو خاصة . فانه قد يجد فيها من مصادر المذاهب المخالفة اكثر مما يجده من مصادر المذهب الاباضي . ويمكننا ان نلمس هذه النظرة الافقية الواسعة في كل ما يكتبه الاباضية ولا أدل على ذلك من صحافة ابي اليقظان ، ومؤلفات ابراهيم اطفيش ومحمد علي دبوز وعلي يحي معمر ، وعبد الرحمن ملكي ، وفتاوى الشيخ بيوض وتفسيره الكامل للقرآن الكريم . وفي ادب مفدي زكريا ، وصالح خرفي ، وغيرهم . بينما لا نجد العكس فقلما نجد في مؤلفات غير الاباضية اهتاما بعلمائهم او ذكرا لادبائهم ومفكريهم وزعمائهم ، وهذه ظاهرة غير حضارية ينبغي ان تزول من بعض الرؤوس ولا سيا اذا كانت اكاديمية يفترض فيها الموضوعية والإخلاص للعلم وحده .

السلام : في نظركم ، ما هو الطرح الفكري الذي يعمل على تخفيف حدة التعصب للمذهب ، وعدم تقبل الاجتهاد المخالف ؟

الجواب : ان الطرح المبني على اساس التمذهب والانغلاق في حيزه دون فتح نوافذ التهوية طرح يبدأ بالقضاء على صاحبه نفسه وان الانتماء للمذهب الى حد اباحة العداء والاعتداء انتماء غير متحضر بل هو غير اسلامي على الاطلاق ، لانه مضاد لنص قطعي وهو قوله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين اخويكم**﴾ . وقوله : ﴿**انا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ ،وقال الرسول الكريم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» هذه الدعوات النيرة المشعة بنور الحب والتوادد هي أول ما يساعد على تخفيف حدة الخلاف والتعصب المذهبي او الحزبي او العرقي او الطائفي وما أشبهه ، كيف يبيح المسلمون لانفسهم ان يتقاتلوا ويتصارعوا واحيانا يكون ذلك في بيوت الله – من أجل اغراض دنيوية او خلافات فرعية هي في اصلها ان احسنا النظر اليها دليل ثراء وغنى الفكر الاسلامي المعروف بالتسامح والرحابة والاحترام .

ان المرء عندما يعود بذاكرته الى المراحل التي مر بها التاريخ الاسلامي يلحظ – بعد عملية استقراء بسيطة – أن الفتن المتأججة بين المسلمين كان من ورائها دوما أسباب دنيوية مثل الصراع من اجل الحكم والتسلط والزعامة ، والرئاسة ، وما أشبهه من نزعات الشيطان ونزغاته ، وحتى لا ادخل في متاهات الفتن والاحداث القريبة او البعيدة اقول ان السياسة التي قيل عنها : «ما دخلت شيئا الا وأفسدته» لم تفسد على المسلمين دنياهم فقط ، وانما افسدت عليهم دينهم أيضا ، نسأل الله العصمة والنجاة .

ولن نخفف من هذه المواقف غير الاسلامية الا بالعلم

والاعتصام باخلاق القرآن ، فلو اعتصمنا بالهدى الرباني طبقناه في حياتنا اليومية لابتعادنا عن هذه الفتن العمياء التي علمنا القرآن أن نقول عنها ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ وأحسب أن دور العلماء والمفكرين يأتي في قمة هذا الهرم من العمل الرسالي الاسلامي ، يتجسد عمليا بعقد الندوات الفكرية للمتخصصين هنا وهناك من وطننا وتتوسع لتشمل كل الجماعات الاسلامية في بقايا العالم الاسلامي بعيدا عن هرطقات السياسة ، والا عيب الزعامة والسياسة ولترفع عن حشد البسطاء والعامة من الناس في مثل هذه القضايا الحساسة التي لا يعرف اسرارها وطرق معالجتها الا الراسخون في العلم وهم يصلون الى حلها بالمدارسة والحوار العلمي الهادىء وعسى ان تجد هذه الدعوة آذانا صاغية فتعيد الينا امجاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

وللمسجد دور بارز وهام في هذا العمل الاسلامي ، يقوم به الائمة والدعاة والوعاظ والمرشدون بالتركيز على القضايا التي تجمع المسلمين دون التطرق الى اثارة الاحن التاريخية أو القضايا الخلافية التي قد تستعصي على فهم العامة من الناس ، لأن الذي يحضر الى المسجد ليس هو الذي يحضر الى ندوة علمية أو محاضرة في ناد ومعهد وجامعة ، وقد رأينا في المدة الأخيرة ان كثيرا من الفتن والصراعات كان المتسببون في ايقاد نارها وعاظ اتخذوا من المنابر منابز ومن المساجد مواقد نذكر على سبيل المثال احداث بريان ، واحداث الجلفة واحداث المدية . وتلمسان وغيرها مما يعصر القلب الما والفكر حيرة وتشتتا .

وللجامعة دور لا يقل عن الجامع ، فان الاستاذ الذي يتطرق الى هذه القضايا ينبغي ان يكون شاعرا بالمسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقه وتقديره لأمانة انشاء جيل مسلم يوحد ولا يفرق ، يبني ولا يهدم ، يتطلع الى المستقبل ولا ينغلق على الماضي ، ولتتسع نظرتنا لتشمل الفكر الاسلامي في كل مراحله دون خوف او تعصب فان المناهج الدراسية عندنا ما تزال تعاني من نظرة متخلفة متعصبة ، ولا سيما في بعض المعاهد والجامعات المتخصصة في الدراسات الاسلامية وحتى لا يكون كلامي عائما اقول لماذا لا يدرس المذهب الاباضي الى جانب المذاهب الاسلامية الاخرى وقد مضى على الاستقلال قرابة ثلاثين سنة ؟ الى متى تبقى الاسئلة التي توجه الى الطلاب في الامتحانات الكتابية او الشفوية ضحية انتماء الاساتذة لهذا المذهب او ذاك او هذا التيار او ذاك . الا يستدعي هذا اعادة النظر في برامج الجامعة ورسالتها واهدافها ؟

ودور الاعلام في هذه الرسالة أشد خطراً من كل ما أسلفت لأن الاعلام المرئي والمقروء ، ولا سيما التلفزيون سلاح ذو حدين ينفع ويضر حسب الاستعمال ، ولا بد من القول ان عهد الديمقراطية والحمد لله قد فتح مجال الصحافة على مصراعيه ليعبر اصحاب الافكار عن افكارهم دون خوف من ضغط او رقابة ، فما ينبغي القول ان عهد الصحوة الاسلامية المباركة سمح لظهور العديد من المؤلفات التي اخذت تسعى الى تقريب شقة الخلافات بين المسلمين ، ومادمنا في صدد الحديث عن الاباضية فلا بأس من ان اشير الى

ان المذهب الاباضي أخذ يعرف اهتماما ملحوظا من طرف كتاب اعلام جامعيين في كل من مصر وسوريا ، والعراق، والأردن، وتونس ، وقد ساعد على ذلك التسامح الذي تعرفه بعض الجامعات العربية فنوقشت رسائل هامة في نواحي الفكر الاباضي ، اضافة الى ما يناقش من أطروحات في الجامعات الغربية وهي كثيرة ومتنوعة ، لعلنا سنعود الى هذا الجانب من الموضوع في فرصة أخرى ان شاء الله .

واتماما للفائدة اورد هنا بعض المصادر المتخصصة لدراسة هذا الفكر اذكر منها :

- الاباضية في كوكب التاريخ علي يحي معمر .
- الاباضية بين الفرق الاسلامية .
- نشأة الحركة الاباضية د/عوض خليفات الاردني .
- النظم الادارية والتربوية عند الاباضية .
- فتاوي الامام الشيخ بيوض (جزآن) .
- فتاوي للشيخ عبد الرحمن باكلي البكري.
- دراسة في الفكر الاباضي للدكتور السينغالي عمر با .
- الحق الدامغ للشيخ احمد بن حمد الخليلي .
- فقه الامام جابر للاستاذ يحي بكوش. والإشارة هنا الى بعض الكتب الموجودة بالمكتبات الجزائرية وهي كلها معاصرة لان المصادر القديمة كثيرة ومتنوعة وليس هنا مجال الحديث عنها .

السلام : هل لكم كلمة اخيرة توجهونها للضمير الاسلامي ؟

ج :كلمة أخيرة أقولها: ما أحوجنا اليوم إلى أن ينصب اهتمامنا على ما يهمنا كأمة اسلامية تجاه اعداء الاسلام فهم يجتمعون على الباطل ونحن نفترق على الحق .

وعلى المسلمين في كل اطراف العالم الاسلامي ان يدركوا بعمق ان المسلمين معرضون اليوم اكثر من أي وقت مضى لحملة صليبية مسعورة تستهدف كل قيمهم ، وتستخدم في سبيل ذلك كل الوسائل الخصبة والعلنية ، المشروعة والمحرمة ، وليس لهم والله من ملجأ الا الاعتصام بالقرآن الكريم وسنة الرسول ، والتعاون على البر والتقوى فان هم تشتتوا احزابا ، وضاعوا تمذهبا ، وانقسموا حكماً وحكاماً فإنهم مايزالون في تخلف وتقهقر ، واستلاب ، وستضيع منهم الأرض كما أهين منهم العرض ، وسيساقون سياسياً ، كما يستعمرون اقتصادياً . ولله الأمر من قبل ومن بعد .